كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences
Journal of Tikrit University for Humanities
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Imam Ja'afar Al-Sadiq University / Kirkuk Branch
A Rhetorical Glimpse in Al-Mudather Sura
Dr. Ahmed Jumaa Shwan
Title Lecturer

albalaghat alearabiat - alquran alkarim - tahlil nasi

eilat alriba wa'athariha fi alfaqih al'iislami

A B S T R A C T

The research deals with Surah Al-Mudathar, which is part of the Makkian Suras, which is revealed after Al-Muzzammil. The number of its ayahs is fifty-six. This sura is called by this name, because the basic foundation revolves around the Prophet (PBUH) The importance of the study is that it is the subject of the study of the three most important rhetorical sciences (meanings, statement, and rhetoric). The researcher analyzes the division of the sura into sections, and each section takes its title From the prominent subject that he is dealing with is a division stemming from the nature of the sura, each section deals with a specific topic, and related to the section followed by a connection However, despite the diversity of contents of the Sura, there are significant links between them, which in the end form an integral unit in terms of construction and the

نظرات بلاغية في سورة المدثر

د. أحمد جمعة شوان
جامعة الإمام جعفر الصادق /فرع كركوك

الخلاصـــة: يتناول البحث سورة (المدثر) وهي من السور المكية والتي نزلت بعد (المزمل) ، وعدد آياتها ست وخمسون آية ، و سُميت هذه السورة بهذا الاسم؛ لأنّ المرتكز الأساس دار حول الرسول ( ) فناداه الله ( ) بحالته التي كان عليها وهي التدثر بالثوب ، وتكمن أهمية الدراسة في أنّه موضوع شمل دراسة أهم العلوم البلاغية الثلاثة (المعاني ، والبيان، والبديع) ، وسيعمد التحليل إجرائيا إلى تقسيم السورة على مقاطع، وكل مقطع يأخذ عنوانه من الموضوع البارز الذي يعالجه وهو تقسيم نابع من طبيعة السورة ، وكل مقطع يعالج موضوعا خاصا به ، ويتصل بالمقطع الذي يليه اتصالا لا ينفك عنه، وعلى الرغم من تنوع مضامين السورة إلا إنّ هناك روابط معنوية بينها مما تشكل في النهاية وحدة متكاملة من حيث البناء والمضمون المعجز للسورة المباركة.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Jan 2018
Accepted 15 Mar 2018
Available online

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

مدخل :

يتناول هذا البحث سورة (المدثر) وهي من السور المكية نزلت بعد (المزمل) ، وعدد آياتها ست وخمسون آية[١]، وسُميت هذه السورة بهذا الاسم؛ لأنّ المرتكز الأساس دار حول الرسول (ﷺ) فناداه الله (ﷺ) بحالته التي كان عليها وهى التدثر بالثوب ، والمتأمل في السورة يجد فيها تعددًا للموضوعات التي عالجتها ، وهذه الموضوعات مع تعددها إلا أنّها تمثل تكاملا موضوعيا واحدًا فكل موضوع أو ـ مقطع ـ فيها يمثل جزءا من وحدة الموضوع ويمكن أن نبين ذلك من خلال المخطط أدناه للوحدة الموضوعية للسورة ومقاطع السورة في الحديث عن :

الرسالة (**قُمْ فَأَنْذِرْ**).

⬇

المرسَل الرسول(ﷺ).

⬇

المنذَرين (الوليد ومن شاكله).

⬇

الجزاء والنتيجة (يوم القيامة).

وهذه المقاطع الأربعة هي الموضوع الأساس في هذه الحياة والموضوع الرئيس الذي جاء به القرآن الكريم.

سبب نزولها :

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قال الرسول (ﷺ) : "جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا[٢]، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)**﴾"[٣].

مقاصدها [٤]: .

اشتملت هذه السورة الكريمة على أكثر من مقصد منها :

١. تكريم النبي (ﷺ) والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة.

٢. إعلان وحدانية الله بالإلهية.

٣. الأمر بالتطهر الحسي والمعنوي ونبذ الأصنام.

٤. الدعوة ألي الإكثار من الصدقات.

٥. الحث على الصبر.

٦ . إنذار المشركين بهول البعث.

٧. وصف أهوال جهنم.

٨. وغيرها من المقاصد الأخرى.

(التحليل البلاغي للسورة الكريمة)

تكمن أهمية الدراسة في أنّه موضوع شمل دراسة أهم العلوم البلاغية الثلاثة (المعاني ، والبيان، والبديع) ، وسيعمد التحليل إجرائيا إلى تقسيم السورة على مقاطع ، وكل مقطع يأخذ عنوانه من الموضوع البارز الذي يعالجه وهو تقسيم نابع من طبيعة السورة ، وكل مقطع يعالج موضوعًا خاصًا به ، ويتصل بالمقطع الذي يليه اتصالا لا ينفك عنه، وعلى الرغم من تنوع مضامين السورة إلا أنّ هناك روابط معنوية بينها مما تشكل في النهاية وحدة متكاملة من حيث البناء والمضمون المعجز للسورة المباركة.

فالمقطع الأول تمثله الآيات الكريمة التي افتتحت بها السورة بأسلوب النداء والتي تثير المتلقي إلى تأمل الأمر الرباني للرسول(ﷺ) بإنذار المشركين وتبليغ الدعوة والصبر على الأذى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)**﴾.

أمّا المقطع الثاني فمثلته الآيات الثلاث التي جاء الحديث فيها مكثفا لبيان مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو مشهد مخيف عنيف وقعه على الكافرين: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾.

وجاء الحديث في المقطع الثالث عن (الوليد بن المغيرة) وإنكاره للقرآن :﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا (١٢)وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)ثُمَّ نَظَرَ (٢١)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)**﴾.

والمقطع الرابع ضم خمس آيات في الحديث عن أوصاف النار وخزنة جهنم :﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧)لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨)لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ**

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١)﴾ .

أمّا المقطع الخامس فتضمن أسلوب القسم بمشهد كوني بديع يتذوق جماله ويفهم معانيه أصحاب العقول والقلوب فجاء الحديث فيه عن الرسالة المحمدية وهدفها في هداية العباد:﴿ **كَلا وَالْقَمَرِ (٣٢)وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥)نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦)لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** (٣٧) ﴾ .

وتضمن المقطع السادس الحديث عن أخذ الناس بإعمالهم يوم القيامة وبيان فضل الله ـ تعالى ـ على المؤمنين: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** (٤٨)﴾ .

واختتمت السورة بالمقطع السابع الذي ضم ثماني آيات كريمة جاء الحديث فيها عن بيان إعراض الكافرين عن الإيمان وتذكيرهم بآيات القرآن: ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢)كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣)كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)** ﴾ .

المقطع الأول :

(أمر الرسول(ﷺ) بإنذار المشركين وتبليغ الدعوة والصبر على الأذى)

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(٧)** ﴾.

وقد ضم هذا المقطع في بنيته فنونًا بلاغية متنوعة من علوم البلاغة والبيان والبديع ويمكن رصدها على النحو الآتي :

من علوم المعاني ورد :

١. أسلوب النداء (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) .
٢. التعريف في (الْمُدَّثِّرُ) ، (الرُّجْزَ) .
٣. أسلوب الأمر في (قُمْ فَأَنْذِرْ) ، (فَكَبِّرْ) ، (فَطَهِّرْ) ، (فَاهْجُرْ) ، (فَاصْبِرْ)
٤. أسلوب النهي في (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ).

الوصل ب (الواو) في (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) و (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) و(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) و(وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) و(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ).

٥. تقديم المفعول به لإفادة الاختصاص في (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) و (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) و(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) و(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ).

٦. حذف المفعول به في (قُمْ فَأَنْذِرْ).

ومن علم البيان ورد فيها :

١. أسلوب المجاز في (الْمُدَّثِّرُ) ، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ).

٢. الكناية في (قُمْ فَأَنْذِرْ) ، (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ).

أمّا علم البديع فقد ورد :

١. حسن الابتداء

٢. مالا يستحيل بالانعكاس في (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) .

٣. الفواصل المتجانسة بالحرف الأخير(الراء).

تبدأ هذه السورة الكريمة بهذا المقطع الذي يمثل حسن ابتداء غاية في الحسن والجمال ،وهذا له دلالات على صعيد بنية السورة الكريمة وله وظيفتان مهمتان :

الأولى ـ هي جلب انتباه المتلقي وشده تجاه الموضوع ، وقد أشار البلاغيون إلى هذه الوظيفة[٥]، والثانية : التلميح إلى ما يتضمنه النص[٦]، وأول ما يطالعنا في استهلال السورة أسلوب النداء ومناداة الرسول (ﷺ) بأداة النداء (يا) المؤكدة بـ(ها) من (أيها) زيادة في التنبيه والتوكيد وذلك ؛ لأنّ المنادى (الْمُدَّثِّرُ) هو ذو شأنٍ عظيم ، وذو منزلة عالية، فالنداء المؤكد الذي افتتحت به الآية إنَّما هو نداء لإعلان الشأن والتنويه بفضله ولعل المراد من ذلك هو التلطف والتكريم لشخص الرسول (ﷺ) ، بدليل القرينة التي جاءت بعد أسلوب النداء (المدثر)، والتعبير بهذه الصيغة أنسب للتلطف والمؤانسة من التعبير بصيغة الاسم ، قال القرطبي (ت٦٧١هـ) : "والتعبير فيه ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه"[٧] فضلاً عن ذلك فإنّ التعبير بهذا الاسلوب فيه شيء من تخفيف الهلع والخوف الذي أصاب الرسول (ﷺ) ، " فالوصف بالمدثر حقيقة، وقيل هو مجاز على معنى: المدثر بالنبوءة ، كما يقال: ارتدى بالمجد وتأزر به على نحو ما قيل في قوله تعالى:﴿ يا أيها المزمل﴾ {المزمل :١}، أي يا أيها اللابس خلعة النبوءة ودثارها" [٨]، ثم أردف النداء بفعل أمر يراد منه التبليغ قال (ﷺ):قُمْ فَأَنذِرْ﴾ والتعبير بصيغة الأمر لم يجئ على وجه الحقيقية بالنهوض من النوم، وإنما المراد منه الشروع بالإنذار، قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : "والقيام المأمور به ليس مستعملا في حقيقته؛ لأنّ النبي (ﷺ) لم يكن حين أوحي إليه بهذا نائما ولا مضطجعا ولا هو مأمور بأن ينهض على قدميه، وإنّما هو مستعمل في

الأمر بالمبادرة والإقبال والتهمم بالإنذار وَالتَّهَمُّمِ بِالْإِنْذَارِ مَجَازًا أَوْ كِنَايَةً"[٩]، ولعل مجيء حرف العطف بـ (الفاء) بدل (الواو) جاء أنسب للمقام؛ لأنّ القيمة الأُسلوبيَّة (للفاء) في هذا السياق تتمثَّل في الإشارة إلى سرعة الامتثال؛ لذلك استعملَ حرف التعقيب للدلالة على السرعة في تنفيذ أوامر الله (ﷻ)، والشروع بالأمر بإيقاع الإنذار[١٠]، وحذف مفعول الفعل في السياق لإفادة العموم أي قم فأنذر الناس جميعهم، ولو تتبعنا السياق القرآني لقوله (ﷻ) :﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾ لوجدنا أنّ أساليب الأمر التي تكرّرت في سياق النص القرآني جاءت مقرونة بحرف العطف (الواو)، ومجيء هذا الاقتران بالواو خاصة في الجمل لاتفاقهما إنشاءً وإعرابا وهذا مما اقتضى عطف الجمل بعضها على بعض وهو ما يعرف عند علماء البلاغة بفن الوصل[١١]، ولو فصلنا بين الجملتين بترك حرف العاطف لضاعت المناسبة ، لذلك فإنّ العطف بحرف (الواو) في سياق النص جاء من أجل توظيف غرض يراد منه ترسيخ هذا المفهوم عند الرسول(ﷻ) ومن أجل الإتيان بها جميعا من دون تخصيص لواحدة منها ، لذلك إنَّ العطف بهذا الحرف أدى إلى سبك النَّص عن طريق ربط الجمل بعضها ببعضها الأخر، وأدَّى كذلك وظيفة دلاليَّة هي الدلالة على تسلسل القضايا الواردة في النص الحكيم ، ومما زاد قوة الترابط النصي هنا أسلوب العدول، إذ قُدِّم المفعول به على فعله (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) للتخصيص والاهتمام[١٢] وهو من باب قصر الافراد أي كبر ربك دون غيره، قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : "وأحسب أن في ذكر التكبير إيماء إلى شرع الصلاة التي أولها التكبير وخاصة اقترانه بقوله: (وثيابك فطهر) فإنّه إيماء إلى شرع الطهارة، فلعل ذلك إعداد لشرع الصلاة "[١٣] ، ومناسبة التطهير هنا بهذا المعنى؛ لا أن يعطف على (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)؛ لأنّه لما أمر بالصلاة أمر معها بالتطهر لها؛ لأنّ الطهارة مشروع واجب وأساس للصلاة وليس في القرآن ذكر طهارة الثوب إلا في هذه الآية في أحد معانيها وهو مأمور بتزكية نفسه والمعنى المركب جاء مشكّلاً من التصوير الكنائي والمجازي هو الأعلق بإضافة النبوءة عليه ، ولعل بدء السياق القرآني بالصلاة قبل الثياب ؛ لأنّ الصلاة تطهير من الداخل والثياب تطهير من الخارج ، واقتران الجمع بينهما بأسلوب العطف أنسب وذلك ؛لأنّ طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن وطهارة البدن شرط من شروط صحة الصلاة ، والنص فيه صورة كنائية تحمل في طياتها معنى الصدق والوفاء، والعرب إذا أرادت أن تصف الرجل بالصدق والوفاء قالت عنه : هو طاهر الثّياب ، ويبدو أنّ السّبب في ذلك "هو أنّ الثوب كالشّيء الملازم للإنسان فلهذا جعلوه كناية عن الإنسان"[١٤]، ومهما اختلفت الدلالات التفسيرية فإنّ المعنى يدور حول تطهير النفس، والذي ساعد على قوة التماسك والترابط بين الآيتين هي الفاصلة القرآنية فهي قرينة حاملة شحنتين في آنٍ واحدٍ، شحنة من الإيقاع الصوتي، وشحنة من المعنى المتمم للآية ، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالٌ من خلال السياق القرآني في قوله (ﷺ) : (وربك فكبر) لماذا قرنت (الفاء) في أفعال الأمر (فكبر، فطهر، فهجر)؟ ، ولماذا لم يأتِ السياق بصيغة

أخرى مثلا (وربك كبر، وثيابك طهر ، والرجز اهجر)؟ ، إذن فلابد من أنّ لهذا الحرف من دلالة ووظيفة، وقد أشار بعض العلماء إلى هذه الدلالة الوظيفية من خلال استنباطهم للتركيب هو أنّ حرف (الفاء) هنا أفاد معنى الشرط ، أي مهما يكن من شيء فلا تدع تكبيره ، قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : "دخلت الفاء على (كبّر) إيذانا بشرط محذوف يكون (كبر) جوابه، وهو شرط عام إذ لا دليل على شرط مخصوص وهيئ لتقدير الشرط بتقديم المفعول؛ لأن تقديم المعمول قد ينزل منزلة الشرط ... فالتقدير: مهما يكن شيء فكبر ربك"(١٥).

وقد يأتي الوصل بأسلوب العطف بين الجملتين كوسيلة من وسائل المناسبة بين الآية وما قبلها وقد ورد ذلك في قوله (ﷺ) : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾ ، إذ عطفت هذه الآية على الآية التي قبلها ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال بعض العلماء : "ومناسبة عطف (ولا تمنن تستكثر) على الأمر بهجر الرجز أنّ المن في العطية كثير من خلق أهل الشرك فلما أمره الله بهجر الرجز نهاه عن أخلاق أهل الرجز نهيا يقتضي الأمر بالصدقة والإكثار منها ... وهذا من بديع التأكيد لحصول المأمور به جعلت الصدقة كالحاصلة، أي لأنها من خلقه (ﷺ) إذ كان أجود الناس"(١٦) ، والغرض البلاغي من النهي أفاد العموم لكل أعطية من دون تقيد لها، وهذا النهي مختص بالرسول الكريم (ﷺ) تنزيها لمقام النبوة ، ثم أمر الله جل وعلا رسوله الكريم (ﷺ) بعد ذلك بالتحلي بالصبر فقال : ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ، واللام هنا في سياق النص جاءت لتعدية فعل الصبر مقدرة بمضاف محذوف لتذهب النفس إلى كل ما هو من شأن المضاف إليه مما يتعلق بالمخاطب، سواء أكان الصبر على أداء الفرائض، أو الصبر على أذى المشركين، أو الصبر على تكاليف أوامر الله ـ تعالى ـ وتكاليف وحيه وعدم التصريح بذكر المضاف أفاد العموم لكل مصبور عليه ومصبور عنه (١٧).

المقطع الثاني :

(الحديث عن مشاهد يوم القيامة)

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾.

وقد ضم هذا المقطع فنونًا بلاغية متنوعة نوردها على الشكل الآتي:

من علم المعاني ورد:

١. التعريف في (النَّاقُورِ).
٢. حذف الخبر في (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) تقديره فذلك اليوم يومئذ، وحذف لعلم السامع به.
٣. التأكيد بالمرادف بين (عسير ، ويسير) في(**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**)
٤. التنكير في (عَسِيرٌ) .

من البيان ما ورد:

١. أسلوب المجاز في (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) علاقته الزمانية.

أمّا من البديع فقد ورد :

١. الجناس الاشتقاقي في (نُقِرَ فِي النَّاقُورِ).
٢. الجناس غير التام بين (عَسِيرٌ ، يَسِيرٍ).
٣. طباق الإيجاب بين (عَسِيرٌ ، يَسِيرٍ).

بعد أن تحدث السياق القرآني عمّا يتعلق بالرسول (ﷺ) من تكليف وتطهير وتكبير وإنذار، أنتقل السياق القرآني بنبرة حادة في الحديث عن أهوال يوم القيامة وما يكون عليها حال الكافر من عسر وهلع وخوف فقال (جل وعلا): ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَالِكَ يومئذ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(10) ﴾ {المدثر: ٨، ١٠} ويرى بعض العلماء أنّ (الفاء) التي ارتبطت بـ (إذا) جاءت للتسبب وهذه الآية مناسبة للآية التي قبلها (ولربك فاصبر) ، وكأنّ في سياق النص شيئًا مقدرًا يفسره حرف (الفاء) تقديره فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُور فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه [١٨] ، أمّا الفاء الثانية التي قرنت مع أسم الإشارة (ذلك) فجاءت هنا للدلالة على الجزاء وهذا ما ذكره الزمخشري معتمدا في ذلك على أسلوب الفنقلة [١٩] ، إذ قال : ((والفاء في (فَذَلِكَ) للجزاء فإن قلت : بم انتصب إذا ، وكيف صح أن يقع (يَوْمَئِذٍ) ظرفاً ليوم عسير ؟ قلت : انتصب إذا بما دلّ عليه الجزاء ، لأنّ المعنى : فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين ، والذي أجاز وقوع (يَوْمَئِذٍ) ظرفاً ليوم عسير، أنّ المعنى : فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير؛لأنّ يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور))[٢٠]، وإسناد العسر لليوم هو من باب المجاز باعتبار ما يقع فيه من أحدث وأهوال والتعبير بهذه الصيغة أقوى وأبين وأدل فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية ، ولعل التعريف في التعبير باسم الإشارة (ذلك) جاء إشارة لذلك اليوم للإيذان بعظمة هول الموقف وفظاعته، وهنا يتبادر إلى الذهن من خلال السياق سؤالٌ لماذا قيد التعبير القرآني النص بالتتميم في قوله ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ بعد أن وصف ذلك اليوم بالعسير وهو وصف تام ومغنٍ لحال الكفار إذن فما فائدة التتميم هنا؟

والجواب عن ذلك نقول : إنَّ فائدة التتميم هنا جاء ليقصر العسر على الكافرين حصرا دون غيرهم فقال: غير يسير، وليؤذن هذا التعبير أنّ العسر الذي سيكون في ذلك اليوم يسيرا على المؤمنين عسيرا على الكافرين، فضلاً عن ذلك أنّ التقيد بهذا الوصف الزائد أفاد التأكيد لذلك العسر وجمع بين وعيد الكفار وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم ، وتفيد الزيادة كذلك حتى لا يفهم أنَّ العسر قد يكون عسراً ، قليلاً يسيراً ، وقد يكون عسراً كثيراً فأثبت التعبير أصل العسر للكل وأثبت العسر بصفة الكثرة والقوة للكافرين حصرا ، وهذا ما يسمى بتوكيد اللفظ بمرادفه، يضاف لذلك أنّ في عسر المسلم تكفيرا لذنوبه وفي عسر الكافر عذابا له وقد يأتي بعد العسر يسرٌ والدليل على ذلك ما جاء في قول (ﷺ) :﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6)** ﴾ {الانشراح :

٥، ٦} ، وقد يكون العسر من جانب، ويعالج من جانب آخر فيرجع يسرا، لكن التعبير القرآني دفع توهم المجاز فقيد تعبير ذلك العسر بأنّه غير يسر على الكفار" فجمع فيه بين إثبات الشيء ونفي ضده تحقيقاً لأمره ودفعاً للمجاز عنه وتأييداً لكونه؛ ولأنّه غير منقطع بوجه، وتقييده بالكافرين يشعر بتيسره على المؤمنين" [٢١] ، ويصح أن يراد به أنّه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً للكفار، كما يرجى تيسر العسر من أمور الدنيا[٢٢]، وخص السياق القرآني الكفار بالذكر من دون المؤمنين زيادة لهم في التوبيخ والتقريع ، والذي عمق دلالة القوة والشدة هنا هو أسلوب الجناس غير التام بين (عَسِيرٌ) و(يَسِيرٍ) ، فهي شدة مطلقة على الكافر، إذ حققت هاتان اللفظتان الغرض الذي يحدث تأثيراً في النفس فتجعلها تتخيل الموقف الذي سيكون عليه حال الكافر.

المقطع الثالث :

(الحديث عن الوليد بن المغيرة وإنكاره للقرآن)

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا (١٢)وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ(٢٥) ﴾ .

وقد ورد في هذا المقطع فنونًا بلاغية متنوعة وهي :

من علم المعاني ورد:

١. فعل الأمر في (ذَرْنِي).
٢. الإطناب بطريق عطف الخاص على العام في (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا).
٣. تقديم الجار والمجرور في (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا) ، للتخصيص .
٤. الوصل في (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا) و(بَنِينَ شُهُودًا) و(مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) .
٥. التنكير في (مَالا مَمْدُودًا) ، (وَبَنِينَ شُهُودًا) ،(مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا).
٦. التوكيد بالمصدر في (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) .
٧. الاعتراض في (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) ، (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)
٨. توكيد الخبر بأن في (إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا)،(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)، (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ).
٩. الاستفهام بـ (كيف) في (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ).
١٠. الإطناب بالتكرار في (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) ،(ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ).
١١. الفصل في (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ).

١٢. التعريف في (الْبَشَرِ).

أمّا علم البيان فورد:

١. الكناية في (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ).

ومن علم البديع ورد:

١. توافق الفواصل بحرف الدال المطلق بالألف في: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا (١٢)وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا)، (كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا).

٢. توافق الفواصل بحرف الراء (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ).

وبعد أن تحدث ربّ العزة عن ذلك اليوم العصيب وكيف سيكون فيه حال الكفار يعرض هذا المقطع تواصلا دلاليا مع المقطع السابق الذي بين حقيقة ذلك الكافر إذ يخبرنا الله (ﷻ) عن قصة ذلك الشقي الخبيث الكافر (الوليد بن المغيرة) وقوله الشنيع في القرآن الكريم ، ويلاحظ في السياق أنّ النص القرآني فيه دلالة استئناف ابتدائي في قوله (ﷻ) (ذَرْنِي) إذ قطعت هذه الجملة عن الجمل التي قبلها لفظًا ، وجيء بالموصول وصلته في قوله: ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ لإدماج تسجيل كفران الوليد النعمة في الوعيد والتهديد[٢٣]، ولعل الغرض البلاغي من هذا الاستئناف جيء به للردع المتضمن معنى التوبيخ والإنكار ولاسيما في نهاية النص في قوله (ﷻ): ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً﴾ إذ جاءت هذه الآية بعد الردع قطعا لرجائه وطمعه ، فهي استئناف تعليل ، فكأنّ قائلا قال : ولماذا لا يزيد له ؟ فقيل : إنّه عاند آيات الله وكفر بذلك نعمه ، والكافر لا يستحق أن يزاد له [٢٤] ، ومجيء أسلوب الإطناب في سياق النص في قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا (١٢)وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) هو من باب عطف الخاص على العام وفائدته البلاغية هنا تنبيها على فضل الخاص ، وكأنّه ليس من جنس العام الذي أنعم الله عليه بنعم عدة لايكاد غيره من قومه يمتلكها ،لأنّ الوليد كان من أوسع قريش ثراء ومالا وولدا قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : " وعطف على ذلك (وجعلت له مالا) عطف الخاص على العام... وامتن الله عليه بنعمة البنين ووصفهم بشهود جمع شاهد، أي حاضر، أي لا يفارقونه فهو مستأنس بهم لا يشتغل باله بمغيبهم وخوف معاطب السفر عليهم فكانوا بغنى عن طلب الرزق بتجارة أو غارة، وكانوا يشهدون معه المحافل فكانوا فخرا له "[٢٥]، ولو تتبعنا سياق النص لوجدنا أنّ جملة ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ [٢٦] جاءت جملة معترضة بين جملتي ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً ﴾ وبين ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ وهذا الاعتراض له دلالة وظيفة لها قيمتها السياقية والدلالية في النظم القرآني تلك القيمة التي كشف عنها ابن هشام

(ت٧٦١هـ) من خلال حديثه عن الجمل إذ قال: "الجملة الثانية: المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدًا وحسناً"[٢٧]، وهذا الاعتراض لم يكن الإتيان به اعتباطا في سياق النظم ، وإنّما جيء به لأغراض دلالية وبلاغية لها أثر في تأدية المعنى المقصود ، والغرض البلاغي من هذا الاعتراض في التركيب سيق لتعجيل المساءة لذلك الشقي، وفي الوقت نفسه فيه إشارة ضدية لتعجيل المسرة لشخص النبي الكريم محمد (ﷺ)، وجملة ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ جاءت جملة بيانية تفسيرية[٢٨] لجملة ﴿كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً﴾ وفصل بينها لتقوية الحكم ولكمال الاتصال بين الجملتين[٢٩]، وتوحي الدلالة الخبرية المتضمنة التأكيد بـ (إنّ) لإزالة الشك الذي يعتري المتلقي ، ثم عطف جملة (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) على الجملة التي قبلها بلا مهلة ، وجملة الفعل الذي لم يسمَّ فاعله ﴿قُتِلَ﴾ تضمنت معنى اللعن ، ودلالة الفعل الذي لم يسمّ فاعله جيء به بصيغة المجهول للاحتقار والإهانة له من دون أن يذكر له اسما ، فيكون الغرض من ذلك الدعاء عليه بتعجيل موته وفي هذا التعبير مساءة له كما أشرنا ، واقتران أسلوب الاستفهام مع جملة المبني للمجهول ولد شحنة بلاغية الغرض منها التعجب من تقديره ، فالاستفهام استفهامًا تعجبًا واستهزاء به وإنكارًا عليه ، ثم كرر ربّ العزة السياق ذاته تكرارا لفظيًا بأسلوب التراخي فقال (ﷺ):﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، وأتى بهذا التكرار الذي هو جزء من أجزاء الأطناب للدلالة على أنّ الجملة الثانية جاءت أبلغ من الأولى في التفاوت في الرتبة، فضلاً عن ذلك فإنّ الجملة الثانية جاءت مؤكدة لنظيرتها في الأولى فالتكرار للتأكيد، وقد بين الكرماني (ت ٥٠٥هـ) فائدة هذا التكرار في حديثه عن الآية إذ قال : "أعاد ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ مرتين ، وأعاد ﴿قَدَّرَ﴾ ثلاث مرات ؛ لأنّ التقدير : أي أنّه الوليد فكر في بيان محمد (ﷺ) وما أتي به ، وقدر ما يمكنه أن يقول فيهما فقال الله ـ سبحانه ـ : ﴿فقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ، أي القول في محمد و ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، أي القول في القرآن"[٣٠] ، وورود هذا الأسلوب في النص الحكيم دليل على قيمته الفنِّيَّة وقوَّة أثرها لأدائي في التعبير البياني ، فساعد ذلك على تكوين جوٍّ لغويٍّ يعمق المعنى، ويسهم في تجسيده ، فتتقرر الأفكار في ذهن المتلقي لغايات معنوية ، لذلك قيل : إنّ الكلام إذا تكرر تقرر في الذهن [٣١] ، وقد آثر التعبير القرآني استعمال حرف العطف (ثم) على غيرها من حروف العطف الأخرى مكررًا إياها في (أربعة) مواضع بعد الأولى (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) ، فقال (ﷺ): ﴿ ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، وهي في كلها تدل على التراخي في الرتبة لا في الزمن ، والذي وجه دلالتها في النص هو السياق ، ذلك لأنَّ الآية في سياق الحديث عمّا سيفعله ذلك الكافر ليرد الناس عن القرآن ويدفعهم عنه، فترقى في التعبير من الأدنى إلى الأعلى وهو ارتقاء متوالٍ في ما اقتضى التعجيب من حاله والإنكار عليه ، إذ دل عطف جملة (عبس وبسر) على (نظر) بـ(ثم) على تراخي رتبة العبوس والبسر عن رتبة النظر ترقيًا من حالة إلى أخرى ؛ لأنّ الوليد بن المغيرة عندما نظر في وجوه الحاضرين

ليستخرج منهم كلامًا يصفون به القرآن لم يجد ما يشفي به غليله، فقطب وجهه وكلح وتغير لونه خوفا وكمدًا، فالعبوس والبسر، أعلى شدة من النظر لما فيها من التأنية والتمهل والتأمل، وهذا أرقى من النظر، ثم أخذته الأنفة والكبر من أن يشهد للقرآن الكريم بما فيه من كمال لفظٍ ومعنى، فأدبر واستكبر، والإدبار هنا كناية عن التولي عن الحق إعراضًا وتكبرا ، وهذه أشد وأعلى منزلةً من التي قبلها، فالتدرج في الإخبار بدأ من الأدنى إلى الأعلى من أدنى الفعل إلى أعلاها، والذي رجّح التراخي الرتبي هنا هو سياق القول ومقام التعبير[٣٢]، وقد التفت أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) إلى دلالة حروف العطف في سياق الآية ولاسيما بين جملتي (وبسر) ، (واستكبر) مبينًا سبب العطف بالواو بعد أن عطف النص بـ (ثم) إذ قال: " وكأنّ العطف في {وَبَسَرَ} وفي {وَاسْتَكْبَرَ} لأنَّ البسور قريب من العبوس ، فهو كأنّه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر أنَّه سبب للإدبار إذ الاستكبار معنى في القلب ، والإدبار حقيقة من فعل الجسم ، فهما سبب ومسبب ، فلا يعطف بثم ؛ وقدّم المسبب على السبب لأنَّه الظاهر للعين، وناسب العطف بالواو؛ وكان العطف في (فقال) بالفاء دلالة على التعقيب"[٣٣]، لذلك يمكن القول: إنَّ للحروف والأدوات أهمِّيَّة كبيرة في السياق الدلالي للتعبير القرآني، فهي ليست مجرَّد أدوات توصيلية تربط بين عناصر التركيب فحسب، بل لها وظائفها الدلاليّة وآثارها الجماليَّة في الخطاب القرآني [٣٤]، فما أن عجز الوليد من أن يجد حيلة يرد بها على القرآن ليرد الناس عنه وهو من جهابذة قريش استكبر على الله (ﷻ) وأخذته العزة بالإثم قال قولته الشنيعة بلا مهلة﴿ **فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ (٢٤) يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ ؛ " لأنَّ الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث"[٣٥]، وفصل في القول بين الجملتين لتكون الثانية بمنزلة التأكيد للجملة الأولى[٣٦]، والتعريف في قوله :(الْبَشَرِ) لاستغراق الجنس أي هذا الكلام كلام بشر إعراضا وتكبرا وعزة بالإثم وقد عملت الفواصل القرآنية المتنوعة في سياق المقطع على تصعيد المعنى وتعميقه لدى المتلقي ، فالفواصل المتجانسة بالحرف الأخير (الدال) المقرون بالألف المطلقة في بداية المقطع رسم لنا كثرة العطاء الذي أنعم الله به على ذلك الكافر ثم ناسب التعبير القرآني أن أنهى قافية المقطع في بدايته من جنس الحرف ذاته (الدال) في قوله (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) فناسب اجتماع نغمات الدالات معنى قوة العذاب وشدته ، وقد حققت هذه الفاصلة دلالة نفسية تتمثل في لفت انتباه المتلقي مما يعمل على تحقيق الغرض المقصود من الخطاب القرآني الذي يهدف إليه في التخويف والترهيب[٣٧].

المقطع الرابع:

(الحديث عن أوصاف النار وخزنة جهنم)

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧)لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩)عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾ .

وقد ورد في هذا المقطع ظواهر بلاغية متنوعة:

من علم المعاني ورد:

١. أسلوب الاستفهام في (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)،(مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا).
٢. حذف المفعول به في (لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ).
٣. أسلوب القصر في (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)
٤. التنكير في (مَثَلا).

أمّا من علم البيان فورد:

١. الكناية في (وَلا تَذَرُ).
٢. التشبيه في (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ).
٣. المجاز المرسل في (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) علاقته السببية.
٤. الاستعارة التصريحية (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ).

من علم البديع ورد :

١. طباق الإيجاب (كَفَرُوا) ، (آمَنُوا) ، (الْمُؤْمِنُونَ) ، (الْكَافِرُونَ) (يُضِلُّ) ،(يَهْدِي).
٢. المقابلة في (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ).
٣. جناس الاشتقاق في (آمَنُوا إِيمَانًا).
٤. أسلوب الحكيم في (وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ).
٥. توافق الفواصل المتجانسة بحرف (الراء).

إنّ المتأمل لسياق النص يجد فيه شدة التوعد الذي توعد الله (ﷻ) به ذلك الكافر الوليد بن المغيرة فاستعمل التعبير القرآني دلالة السين هنا دون سوف في سياق النص لغرض بلاغي يراد منه التعجيل

بالوعيد والعقوبة لذلك الشقي على قوله الذي وصف به كلام الرسول (ﷺ) ، وقد وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك العذاب بأشد الأوصاف، إذ جاء الوصف بأسلوب الاستفهام المراد منه التعظيم والتفخيم لهولها وشدتها وزجرها فقال (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)، ثم فسر الله(ﷺ) ذلك الاستفهام مبينًا حال تلك الطبقة من جهنم بقوله : ﴿ لَا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ وهذا بيان رهيب مخيف مرعب وقد حذف مفعول (لا تبقي) لقصد العموم، تقديره لا تبقي شيئًا من أجزائهم لحما ولا عظما، ولا تبقي منهم أحدًا إلا وأذابته ثم عطف جملة (لا تذر) على سابقتها لبيان معنى الحال إي ولا تذره يموت فيستريح من العذاب، وهذه كناية عن إعادة حياة أهل النار بعد إهلاكهم فإذا أعيد أهلها خلقا جديدا فلا تذرهم [٣٨] ، ثم صور التعبير القرآني حال تلك النار بصيغة المبالغة (لَوَّاحَةٌ) لتدل على الشدة والمبالغة لهذا الوصف فهي لا تمر على بشرة إلا وجعلتها أحلك من الليل المظلم ، وهذه الصورة تثير في الخيال حركة تعبيرية سريعة هي حركة تغيير الذات للجلود من لون إلى لون مصحوبة بألم لايطاق، والذي ساهم في إكمال هذه الصورة وإظهار معالمها المتكاملة هو جرس الألفاظ وإيقاعه الصوتي الذي يلقيه في الأذن وصوته الذي يتلقاه السمع ، وهذا الإيقاع ينتج عن كل حرف من حروف اللفظ على حدة ، ثم عن إيقاع الحروف كلها مجتمعة في اللفظ ثم الجملة بما فيها من مدات وشدّات وغنّات وهذا من تمام المناسبة بين الألفاظ ومدلولها التركيبي في سياق النص، والوصف الذي ذكره ربّ العزة ليس خاصًا بالوليد فقط بل هو وصف عام لكل من استكبر على الله (ﷺ) وصد عن دينه ولم يؤمن بأنبيائه ورسله .

ولّما نزل قول الله (ﷺ) ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ استهزأ أبو جهل ومن معه بخزنة النار فجاءه الرد من ربّ العزة وبأسلوب القصر الذي أفاد قلب الاعتقاد عند أبي جهل وغيره ممن توهموا أنهم تسعة عشر رجلا فطمعوا أن يخلصوا منهم بالقوة وما جعل هذا العدد إلا فتنة للذين كفروا والذين في قلوبهم مرض وهذا ما يسمى بعلم البلاغة بفن الإبهام وقد ذكر بعض العلماء أنّ الإبهام يأتي لأسباب منها: إمّا لامتحان جودة الخاطر، وإمّا لامتحان قوة الإيمان وضعفه ، وهذه الآية التي نحن بصددها هي من الثاني أي امتحان قوة الإيمان وضعفه فإنّ معنى (عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ) مبهمة أشدّ الإبهام ، لذلك قال ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [٣٩]، وهذا التتميم في التعبير القرآني جيء به ليدفع ذلك التوهم ويبطله وهو كلام جارٍ على تقدير الأسلوب الحكيم " إذ الكلام قد أثار في النفوس تساؤلا عن فائدة جعل خزنة جهنم تسعة عشر وهلّا كانوا آلافاً ليكون مرآهم أشد هولا على أهل النار، أو هلا كانوا ملكًا واحدًا فإنّ قوى الملائكة تأتي كل عمل يسخرها الله له، فكان جواب هذا السؤال: أنَّ هذا العدد قد أظهر لأصناف الناس مبلغ فهم الكفار للقرآن، وإنَّما حصلت الفتنة من ذكر عددهم في الآية السابقة "[٤٠] .

ثم انتقل الحديث في التعبير القرآني عن المؤمنين والكافرين بأسلوب التقابل بين الأسماء والأفعال (كفروا، آمنوا)، (المؤمنون، الكافرون) ليرسم صورة شاخصة للتمايز بين فعل الكفار وفتنتهم واستيقان المؤمنين وزيادة إيمانهم ، والمقصود من ذكر المؤمنين هنا الثناء عليهم بثبات إيمانهم وتأييس الذين أرادوا إلقاء الشك عليهم فيعلمون أن قلوبهم لا مدخل فيها لذلك الشك، وهذه طريقة من طرق التصوير القرآني التي استخدمت في التعبير؛ لأنَّ الجمع بين المتضادين يضيف جمالية في الأسلوب، وروعة في المعنى، وهي طريقة من طرق كشف المعنى، فضلاً عن إعطاء النص جاذبية فعالة، لأن جرس اللفظة المضادة يؤثر في المتلقي تأثيرا يكاد يخطف القلب ، ويأخذ السمع لما له من التأثير الروحي في السامع.

وقولهم (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا) استفهام إنكاري من قبيل الكناية ، إذ أردوا به تكذيب أن يكون هذا الكلام وحيًا من عند الله ، ثم إنّ تنكير لفظة (مثلا) في سياق الاستفهام الغرض منه التحقير بدليل قرينة المقام (هذا) ثم جاءت المقابلة لتزيد من جمالية التركيب بين مشهدين ومعنيين متناقضين لتكتمل الصورة من خلال قوله (ﷻ): (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، ليتجلى المعنى ويتحقق التناسب والانسجام التأليفي للآيات القرآنية ، وهذا من بديع النظم في القرآن الكريم ، وإسناد الضلال إلى ربّ العزة هو من باب المجاز المرسل وعلاقته السببية ؛ لأنّ الله (ﷻ) أمر الناس بالهدى والإيمان فمن غير المقول يهديهم للضلال بعد أن أمرهم بإتباع الهدى، ولكن بسبب إعراضهم وإصرارهم على الكفر زادهم الله ضلالا إلى ضلالهم، لذلك قال الزمخشري : " وإسناد الإضلال إلى الله ـ تعالى ـ إسناد الفعل إلى السبب؛ لأنّه لما ضرب المثل ضلّ به قوم واهتدى به قوم "[٤١] ، ولعل في اختيار إسناد الفعل إلى لفظ الجلالة مع صحة إسناده لفعل الضال ـ الكافر ـ فيه إشارة إلى أنّه ضلال متمكن منهم مسيطر على نفوسهم حتى صار كالجبلة فيهم فهم مأيوس من اهتدائهم [٤٢]

ومن بلاغة المقطع أنّ السياق يعمد إلى إبراز الصورة و تقريبها من خلال أسلوب التشبيه (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ، والغرض من هذا التشبيه تقريب المعنى المعقول وهو تصرف الله ـ تعالى بخلق أسباب الأحوال العارضة للبشر، إلى معنى محسوس معروف في واقعة الحال، والغرض البلاغي من هذا التشبيه هو تعليم المسلمين وتنبيههم للنظر في تحصيل ما ينفعهم [٤٣] ، ثم ذُيل المقطع بعد التشبيه بأسلوب الاستعارة التصريحية إذ شبه الله (ﷻ) المخلوقات التي جعلها لتنفيذ أمره بالجند فحذف المشبه وابقى المشبه به فالاستعارة تصريحية قال ابن عاشور: "والجنود: جمع جند وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ المراد"[٤٤] ، وإضافة (الكاف) إلى لفظة (رب) هي إضافة تشريف لشخص النبي (ﷺ) ، وتعريض بأنَّ من شأن تلك الجنود أنَّ بعضها يكون به نصر الرسول الكريم (ﷺ) ونفي العلم في سياق المقطع

هنا هو نفي للعلم المفصل بأعداد تلك المخلوقات وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، فإنَّ العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام منه (ﷺ) لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك شيء ، (وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)، وختم المقطع بأسلوب القصر المتضمن فن من فنون البديع ـ أسلوب الحكيم ـ لتذكير الناس في دار العقاب بتوصيف بعض صفات النار وخزنتها ؛ لأنّ في ذكر الصفة عونا على زيادة استحضار الموصوف ، فالغرض الأساس من القرآن الكريم هو التذكير(٤٥) .

المقطع الخامس:

(الحديث عن الرسالة المحمدية وهدفها في هداية العباد)

﴿ كَلا وَالْقَمَرِ (٣٢)وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥)نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾.

وقد ضم هذا المقطع فنونا بلاغية وهي على النحو الآتي :

في علم المعاني ورد :

١. القسم وما عطف عليه .
٢. أسلوب الخبر المؤكد بـ (إن واللام) في (إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ).
٣. التقديم في (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ).
٤. التذييل فيما جرى مجرى المثل (إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ).
٥. الالتفات من الغائب في المقطع إلى الخطاب في (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ).
٦. أسلوب الحذف في (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) .

في البيان ورد:

١. الكناية في (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ).

أمّا في علم البديع فورد :

١. طباق الإيجاب بين (الليل) و(الصبح) ، (يتقدم) و(يتأخر).
٢. المقابلة في (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ).
٣. التوافق والانسجام بالفواصل القرآنية المتمثلة بحرف (الراء).

يبدأ هذا المقطع من هذه السورة المباركة بأسلوب القسم المسبوق بحرف الردع والزجر (كلا) إنكارًا لقول أبي جهلٍ وأصحابه بأنَّهم قادرون على مقاومة خزنة جهنم. وقيل: إنّها ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة ، ثم أقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعظيم مخلوقاته تشريفًا لها وإظهارًا لعجائب قدرته وقوام الوجود بإيجادها ، وعطف القسم المكرر بعد الردع في السياق ثلاث مرات زاد الأمر

تأكيدًا بعد تأكيد، ثم استأنف التعبير القرآني ذلك القسم استئنافا عظيماً بالخبر المؤكد المقرون بـ (إن، واللام) فقال (ﷺ): (إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ) ، ولعل الزيادة في التأكيد هنا جاءت على مقتضى زيادتهم في الاستهزاء وجاء التعبير بأسلوب جمع التكسير(الْكُبَر) لبيان شدة هول جهنم والغرض البلاغي من هذا الخبر هو التخويف والإنذار، فضلا عن أن جملة إنّها لإحدى الكبر قد جرت مجرى المثل، وقد أشار ابن عاشور ـ رحمه الله ـ إلى المناسبة في سياق هذا القسم مبينًا ذكر القمر والليل والصبح بأسلوب الطباق وعلاقاتها بالآية التي قبلها من خلال قوله: "إنّ مناسبة القسم بالقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر أنّ هذه الثلاثة تظهر بها أنوار في خلال الظلام فناسبت حالي الهدى والضلال من قوله: ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ "[٤٦] ، ثم عدل التعبير القرآني في الخطاب على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر في قوله (ﷺ): ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾ ليعم الخطاب كل سامع به وكأنّه هو المقصود به فيتأمل المعنى في نفسه ثم يتأمله فلا يجد مانعاً من تعديته إلى غيره من الناس ، مستوعبًا جميع أنواع الجنس البشري من دون تخصيص لواحد منهم[٤٧] ، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالٌ عن علة عدول التعبير القرآني من صيغة التأنيث في الخطاب إلى صيغة التذكير في قوله : (نذيرا) دون (نذيره) مع العلم أنّ الحديث مازال عن النار؛ نرى ـ والله أعلم ـ أن العدول هنا جاء لوصف العذاب أي عذابها نذيرًا للبشر والتعبير بالتذكير اشد وقعًا ووصفًا من صيغة التأنيث، وهنا نلمح أن لفظة (نذيره) فيها ضعف الأنوثة، أمّا (النذير) ففيه عزيمة وقوة ، فأراد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يظهر ما هو أشد وأبلغ في التعبير فضلاً عن التناسب بين قوة الصيغة ودلالة التركيب ، فاستعمل اللفظ الأقوى وهذا أنسب للتخويف والتهويل ، لذلك قال (ﷺ) بعد الإنذار﴿ لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر﴾ ، على سبيل التخير بدليل حرف العطف (أو)، أمّا التقدم إلى (سقر) والإنكباب فيها بإرادتهم وعدم الاستجابة لداعي الإيمان والأعمال الصالحات المنجيات فيكون (التقدُّم) تمثيلا عن الإعراض والتولي عن النذير بالكفر بدل الإيمان ، بالشر بدل الخير، وبالضلال بدل الهدى فحذف متعلق (يتقدمُّ) من السياق هنا أفاد الشمول لكل ما هو سبب في عذاب سقر ، ويكون التأخر على الضد من ذلك بالإحجام وعدم التقدم إلى (سقر) وذلك بالاستجابة لداعي الإيمان ، والخير بدل الشر والهدى بدل الضلال وكل عمل مباركٍ فيه صلاح للنفس، بدليل بلاغة إيجاز الحذف لمتعلق يتأخر ليكون مطلقًا من دون تقيد ليكون شاملا لكل ما هو سبب للنجاة من نار جهنم ، وهذا النص فيه تهديد ووعيد وإن اخرج مخرج الخبر قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : "هذا تهديد وإعلام بأنّ من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد(ﷺ) جوزي بثواب لا ينقطع أبدا، ومن تأخر عن الطاعة وكذّب محمدا (ﷺ) عوقب عقابا لا ينقطع أبدا" [٤٨]، وفي الضمير (منكم) التفات في الخطاب من الغائب إلى الحاضر ، وكان مقتضى الظاهر تماشيًا مع السياق أن يقال : فمن شاء منهم أن يتقدم أو يتأخر، ولكن الأسلوب خرج من الغيبة إلى الخطاب ، ولهذا الخروج دلالات ربانية

عظيمة يعجز البيان عن حصرها إلى يوم الدين ، ولعل السر العظيم وراء هذا التحول ذلك ـ والله أعلم ـ لتجسيد المبالغة في التهديد والوعيد وقيل : إنّ إضافة المشيئة إلى المخاطبين قيلت على سبيل التهديد[٤٩] وليكون التوجيه في الخطاب عامًا للناس أجمعين في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة[٥٠].

أمّا على صعيد بلاغة الفواصل المتجانسة في القسم المنتهية بحرف (الراء) فقد علمت على ترسيخ المعاني وتوكيدها في ذهن المتلقي من خلال قيمة الإيقاع الصوتي العام "إذ إنَّ توزيع الوحدات الصوتية (الفواصل) المتجانسة توزيعا متوازنا يشعر المتلقي بضرب من الهندسة اللفظية التي تستقطب أُذن المتلقي ؛ لأنّ التشكيل الواقع في الحرف في أواخر الآي تمد التعبير بميزة صوتية أخرى تزيد تأثيره بجانب وظيفتها المعنوية"[٥١] ، وقد ساعد تكرار حرف (الراء) الذي انتهى به المقطع على إبراز قوة المعنى مما جعل السامع يستشعر عظمة الخالق في إطار دلالي معنوي ذي جرس يلهب النفس ويدعوها للتأمل والتدبر والتفكر.

المقطع السادس:

(أخذ الناس بإعمالهم يوم القيامة وبيان فضل الله على المؤمنين)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.

وقد ضم هذا المقطع مجموعة من الفنون البلاغية منها:

ما ورد في علم المعاني :

١. الاستفهام بـ (ما) في (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ).
٢. الوصل والإطناب في(قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) وما بعدها .
٣. حذف المبتدأ في (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) أي هم .
٤. تقديم الجار والمجرور في (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) للاهتمام .

ومن علم البيان ورد :

١. الاستعارة التصريحية في (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) .
٢. الكناية (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) عن عدم الإيمان.
٣. الاستعارة المكنية في (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) .
٤.

أمّا في علم البديع فورد :

١. جناس الاشتقاقي بين (نَخُوضُ و الْخَائِضِينَ) وكذلك (شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ).

٢. توافق الفواصل وانسجامها بحرف (النون).

وبعد أن أوعد الله (ﷻ) الكفار بما أوعد من نارٍ تنزع الجلود ، وبالغ في ترهيبهم بما بالغ ، استأنف الخطاب في هذا المقطع استئنافا بيانيًا (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) يبين للمتلقي عقبى الاختيار (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) ، فهو على نفسه بصيرة ليكسب ما يفضي به إلى النعيم أو إلى الجحيم بعد الإنذار، إلا أصحاب اليمين فإنّهم لم يرتهنوا ، بل أُطلقوا وفرحوا وفكّوا رقابهم عن تلك النار بحسن أعمالهم فبين ـ سبحانه وتعالى ـ مآل أصحاب اليمين من غرفات في جنات النعيم وهم (يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) ، وسؤالهم هذا ليس سؤالا استفهاميًا على جهة الحقيقة بل هو سؤال إهانة وتوبيخ وتخجيل لهم والمعنى ما الذي أوصلكم لهذه الدركة من النار، وقد رسمت لفظة (سلك) المتضمنة معنى(الزج) صورة فنية عمقت من دلالة المعنى إذ إنّ أصل السلك هو التوغل بين أجزاء الشيء واستعيرت هنا لمعنى الزج أي مازجكم في سقر فأجاب المجرمون بذكر أسباب الزج بهم في النار؛ لأنهم ما ظنوا إلا ظاهر الاستفهام، فذكروا أربعة أسباب هي أصول الخطايا: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾ والذي يتأمل جواب هؤلاء يلاحظ فيه أنَّ المجرمين سلكوا طريق الأطناب في جوابهم ، وهذا إن دلّ فإنّما يدل على التحسر والتلهف والندم على ما فات من تفريط في حياتهم الدنيا والمقام مقام تحسر فناسب الأطناب هنا وقد رسم أسلوب الاستعارة التصريحية في(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) صورة فنية جسدت معنى العبث وعدم الاهتداء، إذ شبه كلامهم وجدالهم وعدم اتبعهم الحق بالخوض ، وأصل الخوض الدخول في الماء، ويستعار كثيرا للمحادثة المتكررة، وقد اشتهر إطلاقه في الذكر الحكيم على المجادلة واللجاج وعدم التصديق وغيرها من الكلام غير المحمود[٥٢]، ثم جاء الوصل بأسلوب العطف ليعمق دلالة التشريك بعدم الإيمان فوصف حديثهم بالتعبير الكنائي (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) الدلال على شدة عنادهم وعدم إتباعهم الصواب ، فضلا عن أنّ التعبير بدلالة الأفعال المضارعة التي جاءت في سياق النص (لم نك، نخوض، نطعم، ونكذب) تدل على أنّ هذه الأفعال كانت ديدنهم ومتجددة منهم طول حياتهم في الدنيا إلى أن أدركوا الحقيقة لكن بعد فوات الأوان، وبإقرارهم هذا استحقوا النار خالدين فيها أبدا فحل عليهم غضب الله، فلن تنفعهم شفاعة ملك، ولا شهيد، ولا مؤمن[٥٣].

ويلاحظ أنّ المقطع ضم فاصلة تنهي بحرف (النون) الساكن الذي جاء متناسقا مع دلالة المقطع فالنون بصوتها الرخو ولدَّ جوًا موسيقيًا نتج عنه وقعٌ مؤثرٌ وصدى يرن في الآذان معبرًا عن ذلك القطع والرفض والإنكار والتكذيب بيوم الدين .

المقطع السابع:

(إعراض الكافرين عن الإيمان)

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ .

وانطوى هذا المقطع على فنون بلاغية متنوعة:

فمن علم المعاني ورد :

١. أسلوب الاستفهام التعجبي في (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ).
٢. الإضراب الإبطالي بـ (بل) في (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) .
٣. التعريف في (التَّذْكِرَةِ).
٤. التنكير في (تَذْكِرَةٌ)، للتعظيم.
٥. تكرار في كلمة (كلا) المراد منها الزجر.
٦. أسلو الخبر المؤكد بـ (إنّ) في (إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ).
٧. الوصل في (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ).
٨. القصر الإضافي في (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ).

ومن علم البيان ورد:

١. اتشلبيه المرسل في (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) .
٢. الكناية عن موصوف في (كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ) .

ومن علم البديع ورد:

١. حسن الختام .
٢. الجناس التام بين (أهل ، وأهل) في (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) .
٣. الجناس غير التام بين (تذكرة وذكره).
٤. توافق الفواصل بحرف (الهاء).

يأتي هذا المقطع ختاما للسورة وهو امتداد وتفريع للمقطع السابق بدليل (الفاء)(فَمَا لَهُمْ) التي جاءت لبيان ترتيب إنكار إعراض المشركين عن القرآن وقد أفاد أسلوب الاستفهام الذي افتتح به المقطع معنى التعجب من إصرار هؤلاء وعنادهم عمّا في القرآن من مواعظ وتذكير، وعلى صعيد الدلالة الوضعية نجد أنّ أسلوب التشبيه الذي جاء بعد الاستفهام وضح هذا المعنى وقربه من الذهن

من خلال تشبيه هؤلاء الكفار بالحمر المستنفرة ، إذ شبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ حال الكفار وإعراضهم عن سماع المواعظ والتذكير بحال الحمر التي تفر من رماتها ، وفي تشبيههم هذا مذمة واضحة وتحقير لحالهم وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس[٥٤] وزيادة حرف (السين) في مبنى مفردة (مستنفرة) فيها دلالة على المبالغة في الوصف ، فهؤلاء الكفار نفروا نفورا شديدا عن سماع القرآن ، بل تطاولوا وجاهروا بالكفر فأراد كل واحد منهم أن يؤتى صحفا باسمه (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) ، والحرف (بل) للإضراب ، ويحتمل أن يكون إضرابًا انتقاليًا وإبطاليًا معًا، فهو انتقالي إلى تصوير حالة أخرى من أحوال إعراضهم، وذلك من خلال طلبهم لنزول صحف خاصة منشره ـ أي مفتوحة مقروءة ـ لكل فرد منهم "وإبطالي لمقولاتهم وتقديراتهم الخاطئة تلك ، وبذلك تتحقق وفرة في الدلالة وتعدد في المعنى وهي سمة يتميز بها التعبير القرآني"[٥٥] ، ثم جاء التعبير القرآني بإضراب على كلامهم بإبطال آخر بحرف الإضراب فقال (ﷻ):(كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ) ، فكني عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم الخوف منها ، إذ لو خافوها لآمنوا بها ، ثم جاء التكرار الثاني بحرف الردع ذاته (كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) تأكيدًا للسياق الذي قبله بدليل اقتران الخبر بالمؤكد (إنّ) وتنكير لفظة (تَذْكِرَةٌ) فيها دلالة التعظيم لشأن القرآن فالجملة تعليل للردع عن سؤال هؤلاء المشركين بأنْ تنزل عليهم صحف مقروءة ، وقوله (ﷻ): (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) تفريع عن الجملة السابقة فضلاً عن السياق في هذه الآية فيه تعريض وترغيب بالتذكر لما في القرآن من مواعظ وعبر[٥٦] ، والمشيئة هنا تستدعي التأمل والتدبر فيما يخلصهم من المؤاخذة والتقصير إذ لاعذر لهم في إهمال ذلك التذكر الذي أمرهم به ـ سبحانه وتعالى ـ ، وجملة (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) جملة اعتراضية جاءت لبيان حقيقة الأمر أنّ المشيئة الربانية هنا هي مشيئة توفيق للعبد ، أي من أراد الله له الهداية وفقه وقيض له أسبابها ويسرها له، ومن استحق الغواية صرفه عن الهدى وله حكمة بالغة في ذلك وحجة دامغة ، ثم ختم سياق الآية بأسلوب القصر الذي أعطى النص جوًا مليئاً بالرحمة والمغفرة ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ واسع المغفرة كثير الرحمة لمن تاب وندم فجملة (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) جملة ناسبت مطلع السورة فقد رجع آخرها على أولها وانطبق مفصلها على موصلها ، وذلك بضم البشارة إلى النذارة ، وصار السياق كأنّه قيل : أنذر المشرك فإنّه أهل لأن يرجع إلى طاعة الله ، فيكون ـ سبحانه وتعالى ـ أهلاً لأن يعود عليه بستر ما بدر منه من زلات وخطايا فالمغفرة من خصائصه، وأنّه (ﷻ) حقيق بأن يغفر لفرط رحمته وسعة كرمه وإحسانه[٥٧]، فالنص فيه تعريض وتحريض، تعريض للمشركين بأن يقلعوا عن الكفر، وتحريض للعصاة بأن يتوبوا عن الذنوب التي اقترفوها ويقلعوا عنها فإن فعلوا ذلك فإنّ الله أهل لأن يغفر لهم، قال (ﷻ) مخاطبًا الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي ﴿ قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

وأسلوب الجناس التام في لفظة (أَهْلُ) والوارد في سياق هذه الآية فيه إشارة إلى اختلاف المعنى بين أهل الأولى والثانية، ولو لم يكن هناك اختلاف بين اللفظتين لاكتفى التعبير بالعطف وهو يغني عن إعادته دون تكرار للفظة (أهل) إذ لقال هو أهل التقوى والمغفرة ، لكن أفاد أسلوب التكرار هنا التوكيد، فالله هو أهل أن تتقى محارمه، وأهل أن يغفر لمن اتقاه .

وإذا ما عدنا إلى سياق المقطع بجملته نجد دلالة التنوع الأسلوبي للألفاظ منها (التذكيرة، تذكيرة ذكره، يذكرون) التي جاءت مكررة بين التعريف والتنكير ، وبين التذكير والتأنيث .

وقد تساءل ابن عاشور ـ رحمه الله ـ عن لفظ (التذكرة) بقوله : " لماذا جيء باسم التذكرة الظاهر دون أن يؤتى بضمير نحو: أن يقال: فما لهم عنها معرضين؟ فأجاب: لئلا يختص الإنكار والتعجيب بإعراضهم عن تذكرة الإنذار بسقر، بل المقصود التعميم لإعراضهم عن كل تذكرة وأعظمها تذكرة القرآن كما هو المناسب للإعراض قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧]"[٥٨].

وآخر ما أختم في هذه الدراسة مسألة التذكير والتأنيث في الضمائر وذلك بالحديث عن ثلاث آيات متشابهات التي وردت في سياق النص أعلاه ، الآية الأولى في قوله تعالى: (كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ(٥٤))، إذ ورد الضمير هنا في سياق الآية مذكرًا، في حين ورد في سورة عبس بالتأنيث في قوله (ﷻ): (كَلاَّ إِنَّهُا تَذْكِرَةٌ (١١)) [عبس:١١] ، أمّا الآية الثالثة جاءت في سورة الإنسان ، إذ جاء التعبير فيها باسم الإشارة المؤنث دون الضمير في قوله (ﷻ): (إِنَّ هُذه تَذْكِرَةٌ) [الانسان :٢٩] فهل هناك فرق في التعبير في هذه السياقات المختلفة ؟

حقيقة إنّ هذا الأمر لم يغب عن علماء التفسير ولاسيّما أولئك الذين اهتموا بدلالة الآيات المتشابهات أو ما يسمى بالمتشابه اللفظي ، فقد تحدث الكرماني عن آيتي المدثر وعبس ، فذكر أنّ التذكير في اللفظ جاء ؛ لأنّ الحديث عن القرآن الكريم فناسب اللفظ التذكير ، أمّا الحديث في سورة عبس فهو عن آيات القرآن فبين ذلك في قوله: " إنّ تقدير الآية في هذه السورة ـ أي المدثر ـ إنّ القرآن تذكرة ، وفي عبس إنّ آيات القرآن تذكرة وقيل حمل التذكرة على التذكير؛ لأنّها بمعناه "[٥٩].

أمّا ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) فكان حديثه عن آيتي المدثر والإنسان ، إذ حديثه مطابقًا لما قال الكرماني إلا أنّه زاد عليه قليلا في التوضيح فقال : " إنّ هذا مما لا إشكال فيه لأنّ المذكر به عظة أو موعظة وهو أيضًا وعظ وتنبيه ، فتارة تراعى العرب في مثل هذا جهة التذكير وتارة تراعي جهة التأنيث، فتحمل الضمير على ما تقدره من تأنيث وتذكير، وهذا كثير ومنه قول بعض العرب: فلان جاءته كتابي (فمزقها) فيسأل عن التأنيث في قوله: جاءته وفي قوله فمزقها فيقال: أليست بصحيفة، وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى**﴾ [البقرة: ٢٧٥]"[٦٠]، ولم يخرج العلماء من

بعدهم عن هذا القول منهم ابن جماعة(ت٧٣٣هـ)[٦١]، وفخر الدين الرازي (ت٦٠٤هـ)[٦٢] ، وتابعهم بذلك الألوسي[٦٣] ، وابن عاشور [٦٤] .

الهوامش:

(١) ينظر :الأتقان في علوم القرآن ، للسيوطي :١/ ١٩٤، والكشاف ، للزمخشري:٤/٦٤٦.

(٢) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري:٦/١٦١ رقم الحديث (٤٩٢٢).

(٣) ينظر : أسباب نزول القرآن، للواحدي : ٤٦٧، ٤٦٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور : ٢٩/ ٢٩٣.

(٥) من ذلك قول الهاشمي في جواهر البلاغة : " وحسن الابتداء ، أو براعة المطلع ، وهو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا ، واضح المعاني ، مستقلاً عما بعده ، مناسبا للمقام بحث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته ، لأنّه أول ما يقرع السمع ، وبه يعرف ما عنده"

(٦) ينظر: في سورة الفجر دراسة بلاغية تحليلية ، د. أحمد فتحي رمضان ، مجلة التربية والعلم ، العدد (١)٢٠٠٦م ٢٠٠:

(٧) الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ تفسير القرطبي :١٩/٦١.

(٨) التحرير والتنوير ، ابن عاشور :٢٩/ ٢٩٤.

(٩) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٢٩٤.

(١٠) ينظر : م. ن :٢٩/ ٢٩٥.

(١١) ينظر : دلائل الإعجاز ، للجرجاني:٢٢٢ومابعدها.

(١٢) ينظر : الدر المصون ، للسمين الحلبي:١٠/ ٥٣٤.

(١٣) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٢٩٦.

(١٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن:٤/ ٣٦٢.

(١٥) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٢٩٦.

(١٦) م. ن : ٢٩/٢٩٨

(١٧) ينظر: تفسير الكشاف :٤/ ٦٤٨، والتحرير والتنوير : ٢٩/ ٢٩٩.

(١٨) ينظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي :٨/ ٢٨٠.

(١٩) **الفنقلة** : هو لفظ منحوت من فعل الشرط وجوابه وهو مأخوذ من قولهم : فإن قيلَ، قلنا ، أو فإن قال ، قلت، ينظر: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح :٢٩٤، والوجيز في أصول الفقه الإسلامي ، د.محمد مصطفى الزحيلي:١/٦٥.

(٢٠) تفسير الكشاف : ٤/ ٦٤٨.

(٢١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام البقاعي : ٨/ ٢٢٤.

(٢٢) ينظر: تفسير الكشاف :٤/٦٤٩.

(٢٣) ينظر : التحرير والتنوير :٢٩/ ٣٠٣.

(٢٤) ينظر : الدر المصون :١٠/ ٥٤٢ ، والجملة الاستئنافية دراسة للغوية قرآنية ، د. أيمن عبد الرزاق الشوا:١٧١.

(٢٥) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٠٤.

(٢٦) **الصعود** : جبل من نار يصعد عليه ، وقيل : "صخرة ملساء في النّار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما، فإذا بلغ ذروتها أحدر إلى أسفلها"، لباب التأويل في معاني التنزيل :٣٦٤/٤.

(٢٧) مغني اللبيب ، تح : محي الدين عبد الحميد: ٢/ ٤٩، وينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي:٢/ ٣٢٧.

(٢٨) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي :١٢٣/٢٩.

(٢٩) ينظر : التحرير والتنوير :٢٩/ ٣٠٦.

(٣٠) أسرار التكرار في القرآن المسمّى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) محمود بن حمزة الكرماني: ٢٤٢ .

(٣١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي :١٠/٣.

(٣٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٣١٠/٢٩.

(٣٣) تفسير البحر المحيط :١٠/ ٣٣١.

(٣٤) ينظر: أسرار التعبير القرآني في سورة الأعراف دراسة بلاغية أسلوبية ، علاء غالي حايف حرج الشمري ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ،كلية التربية للبنات :١٨١.

(٣٥) تفسير الكشاف :٦٥٢/٤.

(٣٦) ينظر: م.ن :٦٥٢/٤.

(٣٧) ينظر : في سورة الفجر دراسة بلاغية تحليلية بحث :٢١١.

(٣٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣١٢ ، وتفسير المراغي :٢٩/ ١٣٤.

(٣٩) ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش:١٠/ ٢٨٢.

(٤٠) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣١٤.

(٤١) الكشاف :١/ ١٤٨.

(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير :١/ ٣٦٦.

(٤٣) ينظر : م.ن : ٢٩/ ٣١٨.

(٤٤) التحرير والتنوير :٣١٩/٢٩.

(٤٥) ينظر : م. ن :٢٩/ ٣٢٠.

(٤٦) م.ن:٢٩/ ٣٢٢.

(٤٧) ينظر: نظم الدرر : ٣٥٧/٨ ، وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل :٥٨ .

(٤٨) تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي:١٣٨/٢٩.

(٤٩) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/ ٣٦٦.

(٥٠) ينظر : تفسير الكشاف :٦٥٥/٤، والتحرير والتنوير :٣٢٣/٢٩.

(٥١) في سورة الفجر دراسة تحليلية (بحث) :٢٠٥.

(٥٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٢٧.

(٥٣) ينظر : التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد ، النيسابوري:٢٢/ ٤٥٧.

(٥٤) ينظر : الكشاف :٤/ ٦٥٧، والتحرير والتنوير :٢٩/ ٣٢٩.

(٥٥) في سورة الفجر (بحث):٢١٤.

(٥٦) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بـ (تفسير أبي السود)، لأبي السعود :٦٣/٩، والتحرير والتنوير :٣٣٢/٢٩.

(٥٧) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٨/ ٢٤٠، والتحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٣٤.

(٥٨) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٢٩.

(٥٩) أسرار التكرار في القرآن : ٢١١.

(٦٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لابن الزبير الغرناطي : ٤٩٤/٢٢.

(٦١) ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني :٣٧١.

(٦٢) ينظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) :٥٣/٣١.

(٦٣) ينظر : روح المعاني : ١٣٥/٢٩.

(٦٤) ينظر : التحرير والتنوير :٣٣٢/٢٩.

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل ، الناشر : المكتبة العصرية ـ بيروت ، د.ط/٢٠٠٧م.

٢. أسباب نزول القرآن ، للواحدي (ت٤٦٨هـ) ، تح: كمال بسيوني زغلول، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط١/١٩٩١م.

٣. أسرار التكرار في القرآن ، حمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٥هـ)، تح : عبد القادر احمد عطا، الناشر : دار الاعتصام – القاهرة ، ط٢/ ١٣٩٦هـ.

٤. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، د. حسن طبل ، دار الفكر العربي ، مصر د.ط/١٩٩٨م.

٥. إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، ط٤/ ١٤١٥ هـ م.

٦. البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة ـ بيروت ، د.ط/١٣٩١هـ.

٧. التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، د. ط / ١٩٨٤ م.

٨. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، الأمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ) ، دار أحياء التراث العربي ـ بيروت، د.ط / د.ت

٩. تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، ط٤/ ١٤٢٠ هـ.

١٠. التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد ، النيسابوري(ت: ٤٦٨هـ) ، تح: مجموعة محققين ، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١/ ١٤٣٠ هـ .

١١. تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ـ مصر ، ط١/ ١٩٤٦ م.

١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول (ﷺ) وسننه وأيامه صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ، ط١/١٤٢٢هـ .

١٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢/ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .

١٤. الجمل الاستئنافية دراسة للغوية قرآنية ، د. أيمن عبد الرزاق الشوا ، دار الغوثاني ـ دمشق ط/٢٠٠٩م.

١٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد الخراط ،الناشر: دار القلم، دمشق ، د.ط /١٤٠٦هـ.

١٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تح:محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة ، ط٣/١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل محمود الألوسي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د.ط ، د.ت.

١٨. الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت ٥٣٨هـ)، تح : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار النشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د. ط ، د.ت.

١٩. كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، تح : د. عبد الجواد خلف ، الناشر: دار الوفاء ـ المنصورة ، ط١/ ١٩٩٠ م.

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) ، محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١/ ١٤١٥ هـ .

٢١. مباحث في علوم القرآن ، للدكتور صبحي الصالح ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ط١٠/١٩٧٧م.

٢٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدا لله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : مؤسسة الصادق ـ طهران ، ط٢/١٣٨٧هـ.

٢٣. مفاتيح الغيب ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت٦٠٤هـ) ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ، ط١/٢٠٠٠م.

٢٤. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي ، لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت.

٢٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) تح:عبد الرزاق غالب المهدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د.ط/١٩٩٥م.

٢٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تح : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر، د.ط، د.ت.

٢٧. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي ، تأليف د. محمد مصطفى الزحيلي ، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا ، ط٢/ ٢٠٠٦ م .

الرسائل

١. أسرار التعبير القرآني في سورة الأعراف دراسة بلاغية أسلوبية ، علاء غالي حايف حرج الشمري رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ، كلية التربية للبنات /٢٠١٦م .

البحوث المنشورة في الدوريات

١. في سورة الفجر دراسة بلاغية تحليلية، د. أحمد فتحي رمضان ،مجلة التربية والعلم ، العدد(١)/٢٠٠٦م .